المقدمة

إن الحمد للّه والفضل للّه الذي علمنا ونفعنا بما علمنا ، وحثنا على نفع الآخرين به ، وشرفنا بأن نحاول أن نكون ممن يقودون البشرية نحو حياة أفضل. إننا معنيون بأن نبني أمة عريقة رفيعة الخلق عالية الشأن، وعلينا أن نفهم قدرات الإنسان والأرض ونتفهم كيفية عمل النظم البيئية وتفاعلاتها، وأن نهتدي إلى سبل تطويع الظاهرات الجغرافية بشقيها الطبيعي والبشري لتحقيق أفضل قدر من المكاسب التي نحن في حاجة إليها .

ونعتقد أن علم الجغرافيا الذي يعني مجرد "وصف الأرض" هو نظرة قاصرة تلائم بالكاد حياة الإنسان في العصور القديمة ورغبته في فهم العالم المبهم، فما فائدة الدراسات الجغرافية العامة والأبحاث التفصيلية وهذا التراث العلمي المتراكم دون أن نضعها في خدمة الإنسان؟. ونعتقد أن علينا استئناس الطبيعة قدر المستطاع، وتطويعها لتفادي كوارثها، ومع اعترافنا بقصور الجغرافيا في نواح عديدة، وأن العلم ما يزال يجهل الكثير عن وطنه الكوكبي، ومحدودية القدرات الحالية في تلبية كل الاحتياجات لكل عصر، فلا بأس من استغلال ما تحت أيدينا من حقائق ومعلومات وفرضيات وتقديرات علمية لصياغة المستقبل، فيما يشبه "**الخيال الجغرافي**"، أو ما يمكن أن نطلق عليه" **الجغرافيا الافتراضية** " المبنية على الحقائق العلمية لرصد المستقبل، ووضع التصورات عن حقائق وأبعاد " **الغيب الجغرافي**"، وفقا للمنهج العلمي في البحث، ابتداء من تحديد الظاهرة أو المنطقة ومشكلاتها، إلى جمع المعلومات وتحليلها، وفرض الفروض المنطقية، وليس في مقدورنا التحقق الكامل منها، نظرا لأنها تضع تصورات لأشياء لم تقع حتى الآن، وقد تكون الأفكار والتصورات غريبة بعض الشيء، بل

قابلة لأن تصيب أو تخطئ في سبيل تحقيق هدف عظيم، وإن كانت تفتح مجالا للجدل والنقاش، لكنها تقدم للفكر الإنساني تصورا مشجعا لمحاولات تغيير الواقع، ولنا السبق في تشجيع الآخرين لطرق هذا المجال، ومحاولة رصد الظاهرات قبل وقوعها، والمستقبل هو وحده الذي سيتحقق منها، وستكون معينا للأجيال القادمة لتسير على نسقها ومنوالها وخطاها، وتستشرف مستقبلها القادم بافتراضات جغرافية متواصلة.

وتنتمي هذه الدراسة إلى ما يمكن أن نسميه " **المذهب الجغرافي الحر**"، فالجغرافيا لها بيئة خصبة تفضل التجديد، وقد تم تناول قضايا متشابكة، ونرجو أن تكون نموذجا صالحا لتوجيه سلوك التفكير الجغرافي نحو مجالات هامة تضيف أبعاداً جديدة ذات نفع كبير للإنسان.

ويستخدم هذا البحث مجالا متعارفاً عليه في علم الجغرافيا وهو "**جغرافيا التخطيط الإقليمي والقومي**" الطويل والقصير الأجل، وهناك أبحاث ودراسات كثيرة تركز على هذا العلم أكثر من ممارسته والإدلاء بالآراء المختلفة في معالجة القضايا التنموية والتحديات التي يواجهها الإنسان، ويهدف التخطيط الإقليمي إلى التقليل من دور العوامل السلبية في تشكيل جغرافية المستقبل، انطلاقا من الإمكانات والضوابط الطبيعية والبشرية السائدة في الإقليم، بغية تحقيق أفضل استغلال للموارد، والتوظيف الأمثل لميزاته النسبية [١]، والتنظيم والتنسيق بين أنواع الأنشطة الإنسانية المختلفة في كل منطقة، والاستعداد الفعلي لتوقع متغيرات الأنشطة الجديدة في المستقبل [٢]، ومعظم الدراسات في هذا المجال تقدم سردا لأهداف هذا العلم وقواعده، ولا تقدم تطبيقاً موضوعياً أو تطرح الرؤى الاستراتيجية العملية حول ذلك .

تفاديا للتكرار والأحاديث المتواترة التي تبدو لا نهاية لها عن أوضاع العالم العربي التي تزخر بها المكتبة العربية، وتلقى رواجا في كل مكان، أردنا أن نحاول رصد أبعاد أخرى للظاهرات العربية، وإضافة رؤى ونظريات جديدة، ولا ندعي أننا قد أحطنا بكل جنبات الحضارة، ولكننا نطمح في فتح طريق آخر للفكر والوعي العربي بقضايا جديدة، وإدراك أبعاد أخرى لا تلقى الاهتمام الذي يناسبها، وقد أردنا أن نضيف " **عملا علميا متخصصا نحو بناء وإصلاح وتنمية العالم العربي**

من منظور جغرافي "، ونطرح النقاش حول قضايا الأمن القومي بمفهومه المدني والعسكري، كما راعينا أن تكون أطروحاتنا تشمل كل البلدان بصفة متكاملة، وأن تكون هناك عدة استراتيجيات تخص بعض الدول العربية ذات الشخصية الجغرافية الفريدة.

اعتمد البحث على المراجع المختلفة في مجالات وفروع شتى، وهي كثيرة العدد ومتشابهة المحتوى إلى حد كبير، والإحصائيات الحديثة، وتقارير شبكة المعلومات الدولية، نظرا لتعدد جوانب الدراسة واختصاصاتها المتشابكة، وكان ذلك أحد التحديات التي واجهت البحث، واستخدمت الخرائط الإلكترونية للتوزيعات الطبيعية والبشرية، وكان علينا أن ننتقي المناسب منها، ومراعاة القواعد الجغرافية لأصالة الخريطة العلمية، كما تمت الاستعانة بصور الأقمار الإصطناعية من برنامج " جوجل إرث " (Google Earth)، والرسوم البيانية، وإضافة المخططات الافتراضية والخرائط الهندسية الابتكارية والتصميمات المعمارية التي نظن أنها ستشكل فتحا لمجالات أوسع نحو التكامل والتعاون بين الجغرافيا التطبيقية والهندسة المعمارية.

وجاءت الدراسة في عدة فصول، **الفصل الأول: ـ نظريات وتطبيقات في الأمن القومي العربي**، وجرت الإشارة إلى المفاهيم المختلفة للأمن القومي، وأجريت بعض المقارنات حول الاستراتيجيات المختلفة، وأمكنت الإشارة إلى جوانب الضعف العربي وسبل علاجها، **والفصل الثاني : القوى العسكرية لجيوش الدول العربية والشرق الأوسط**، ويحسب هنا أن تطرقت إحدى الدراسات الاجتماعية للمرة الأولى في الأمور العسكرية الدقيقة، ووقفت على كثير من القضايا المحظورة على الإعلام، وأدلينا بعدد من النصائح لمعالجة القصور في كثير منها، **والفصل الثالث : ـ إلى أين يتجه مستقبل البشرية؟**، حيث تأملنا في ما يمكن أن يكون عليه المستقبل القريب والبعيد، وإننا نعترف أن بعض ما ذكرناه هنا هو مجرد تصور ذاتي ليس له سند مرجعي يؤكده أو يتوقعه، وهو يمكن أن يكون مصدرا للنقد والاستغراب، غير أن المستقبل يحمل ما هو أكثر من ذلك، مع الملاحظة أننا نتخيل ما هو كائن خلال فترات طويلة، وأن الجرأة هي أحد أهم عوامل التقدم البشري، و **الفصل الرابع : العرب والتخطيط للمستقبل**،

ويعرض مستويات التخطيط الجغرافي العام والخاص، ثم الخاتمة وتناولت النتائج العامة للدراسة والرؤى المستخلصة نحو واقع ومستقبل أفضل، وأخيرا قائمة المراجع والمصادر لمن أراد التحقق أو الاستزادة منها.

وقد أدت بنا الأمور إلى الخوض في مسائل حساسة وبالغة الخطورة لدى أصحاب الفكر المحافظ والمهووسين بوضع القضايا الداخلية موضع القداسة المحظور الاقتراب منها، إذ قادنا البحث في الشئون العسكرية إلى أمور في غاية الخطورة عن حجم وتسليح الجيوش في دول الوطن العربي والشرق الأوسط وخططها الاستراتيجية، وقد راعينا أن تكون الدراسة ذات طابع علمي محايد ينأى عن المجاملات أو النيل من أحد، ونأمل أن تلقى استجابة فعلية ولا تواجه بالتجاهل والإهمال الشائع في العالم الثالث، ونتمنى أن يضيف هذا المرجع فكرا جديدا، ويكون أحد العوامل التي تحفز المجتمع العلمي في البلدان العربية نحو التجديد.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د . وليد نبيل علي
معهد البحوث والدراسات
الأفريقية قسم الجغرافيا
جامعة القاهرة